اللاتماثل في الاستراتيجية الأميركية الشرق أوسطية: توظيف داعش

د. عادل عبد الحمزة البديوي*
أ. د. سرمد زكي الجادر**
أكاديميين وباحثين من العراق

* تدريسي ـ كلية العلوم السياسية ـ جامعة بغداد
** تدريسي ـ كلية العلوم السياسية ـ جامعة النهرين

مقدمة

لم يقتصر تحقيق الاهداف والمصالح لا سيّما للدول العظمى، على الادوات والأساليب التقليدية المعروفة، بل وظفت هذه الاساليب والأدوات بطرق جديدة لم تكن متوقعة أو معهودة من قبل، ولا سيّما اذا كانت النتائج المترتبة على هذا التوظيف الجديد كبيرة ومثمرة، وتؤدي إلى تحقيق الاهداف والمصالح وإدامة السيطرة والهيمنة والقيادة العالمية منها والإقليمية، إذ يؤدي هذا التوظيف إلى التحكم بجميع المسارات والتفاعلات العالمية والإقليمية، بل وحتى الداخلية في كل دولة في حال تطبيقها عليها، لا سيّما في تلك الاقاليم التي تحتل أهمية استراتيجية في اجندات القوى العظمى والكبرى، ويأتي في مقدمة تلك الاقاليم اقليم الشرق الأوسط الذي شكل الأهمية الحيوية للولايات المتحدة الأميركية، بعدّها القوة العظمى الوحيدة المتربعة على قمة الهرمية الدولية، والتي عملت على ربط الأمن في هذا الاقليم بأمنها القومي، وعمدت إلى توظيف وتكييف العديد من الأدوات والأساليب الجديدة التي تتيح بقاءها واستمرارها كفاعل رئيس في منطقة الشرق الاوسط، وبما يضمن تحقيق اهدافها ومصالحها.

وضمن هذا الاطار فأن الإشكالية التي تنبع منها الدراسة، هو أن الارهاب يشكل تحدٍ حقيق وعدو فعال للأهداف والمصالح الأميركية في منطقة الشرق الاوسط، غير أنه وفي الوقت نفسه بدأ يحقق تلك الاهداف والمصالح بآلية جديدة وبتوظيف جديد، ولتفسير تلك الاشكالية انطلقت الدراسة من فرضية مفادها: إن الولايات المتحدة الأميركية وظفت «داعش» في

إن الولايات المتحدة الأميركية وظفت «داعش» في منطقة الشرق الاوسط لإعادة رسم وهيكلة المنطقة من جديد

منطقة الشرق الاوسط لإعادة رسم وهيكلة المنطقة من جديد، وبما يتناسب والأهداف والمصالح الأميركية الحالية والمستقبلية.

أولاً: الحرب اللامتماثلة

يمثل هذا المفهوم تطور لأدوات وأساليب واستراتيجيات وتكتيكات ادارة الحروب لتحقيق الاهداف والمصالح. سواء من قبل الفواعل الدولية أو غير الدولية.

1 ـ مفهوم الحرب اللامتماثلة

تمثل الحرب اللامتماثلة أو اللامتناظرة في الواقع شكل قديم جداً من أشكال الحروب، لا سيّما في المضمون والمحتوى، ابتدعها الاستراتيجي الصيني «سان تزو» عام 500 ق.م، وقد وضح بأنه من غير المجدي الدخول في قتال ضد قوة عسكرية أقوى بنفس الاسلحة «المتناظرة»، عليك أن تستخدم اسلوباً مختلفاً، يستهدف وحدة المجتمع الذي انتج القوة العسكرية، فبمجرد تحطيمك التماسك الاجتماعي سرعان ما تتفكك القوة العسكرية ايضاً، ليصبح السكان هدف العمليات، فغاية هذه الحرب تمزيق البنيان الاجتماعي وتحطيمها[1]، وقد اشار العديد من المفكرين الاستراتيجيين إلى هذا المضمون في كتاباتهم العسكرية أمثال «ميكافيللي» و«كلاوز فيتز» و«ليدل هارت» وغيرهم.

(1) محمد المصري، الحرب اللامتماثلة ونظرية الأمن الإسرائيلي 2014، عن شبكة المعلومات الدولية «الانترنيت»/http://alma3raka.net/spip.php?article106

غير أن أول من استخدم المصطلح في عالم السياسة «جي أر مارك» عام 1975. في مقالته الموسومة «لماذا الأمم الكبيرة تفقد الحروب الصغيرة»، وأشار بأن الحروب «اللامتماثلة» هو التفاوت الكبير وعدم التكافؤ الهام في نسب القوة بين الاعداء والخصوم الممثلين للصراع. ولكن تم تجاهل تحليل «ماك» إلى حد كبير في ذلك الوقت[2].

(2) عن شبكة المعلومات الدولية الانترنيت: http://en.wikipedia.org/wiki/Asymmetric_warfare

لكن نهاية الحرب الباردة فرضت على الولايات المتحدة الأميركية، إعادة تقويم المواقف والتحديات الممكن إن تتعرض لها في المستقبل، وكان على رأس تلك التحديات «الحرب اللامتماثلة»، فمنذ منتصف عام 1990، ومفهوم «الحرب اللامتماثلة» أخذ يلقي اهتماماً متزايداً في الكتابات الاكاديمية والوثائق والتقارير الحكومية في الولايات المتحدة الأميركية، لا سيّما الاهتمام المتزايد من قبل البنتاغون[3]، إذ خلصت «هيئة التقديرات في

(3) David L.Buffalde, Defining Asymmetric Warfare, The Institute of LAND Warfare, Association of The United state Army, Paper Virginia, No.58, September 2006, p. 3.

البنتاغون» وهي مجموعة تخطيط استراتيجي، اشرف عليها الجنرال «روبرت ايفاني» قائد الكلية الحربية.

أننا نستطيع إن نفترض أن اعدائنا أو خصومنا في المستقبل تلقوا وفهموا الدرس من حرب الخليج (عاصفة الصحراء)

من تقدير الموقف بالقول: أننا نستطيع إن نفترض أن اعدائنا أو خصومنا في المستقبل تلقوا وفهموا الدرس من حرب الخليج (عاصفة الصحراء)، ولذلك فليس من المتوقع أن يحاول طرف منهم مواجهتنا في حرب تقليدية، تعتمد على تشكيلات الدبابات والقوات الجوية والبحرية، ذلك أن النظر إلى هذا الميادين كلها يظهر تفوقاً ساحقاً في موازين القوة لصالح الولايات المتحدة، ويترتب على ذلك إن من يريد مواجهتنا من الاعداء أو الخصوم عليه إن يكشف وسائل جديدة تمكنه من تهديد مصالحنا أو قواتنا أو مواطنينا، وعليه أن يتأكد أن هذه الوسائل تستطيع أن تحقق له ميزات ينفذ بواسطتها إلى مواقع ضعف تكون عندنا»[4].

(4) نقلا عن محمد المصري، مصدر سابق ذكره.

وفي ضوء هذا الفهم الجديد للمخاطر، والتقدير للمواقف، جاءت المناقشات والتعريفات التي حاولت توضيح هذا المفهوم واستبيان عناصره ومكوناته والأسس التي يرتكز عليها، ومنها عرفت «الحرب اللامتماثلة»: بأنها تعني لجوء قوة غير مسلحة أو ضعيفة التسليح إلى مهاجمة نقاط الضعف في عدو أقوى نسبياً، أو أفضل تسليحاً بأسلوب غير تقليدي أو مألوف ورخيص، وينطبق هذا النوع من القتال على كافة ما تقوم به الجماعات المسلحة من عمليات عسكرية كأحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001[5].

(5) المصدر نفسه.

وهناك من الكتاب العسكريين من يرى أن المصطلح ينسحب على كل موقف عسكري، يتمكن فيه العدو الأضعف من احراز نقطة تقدم أو مزية قتالية معينة أو نصر عسكري، بوسائل غير مألوفة ورخيصة كزرع الالغام، نظراً لأنه سلاح رخيص وغير مكلف وتصعب مواجهته[6]، وأنها الحرب التي تقع بين طرفين أو أكثر، والتي تكون فيها نسبة القوة العسكرية مختلفة اختلافاً كبيراً، فضلاً عن اختلافهما الكبير في الاستراتيجية والتكتيك[7].

(6) المصدر نفسه.

(7) Ropert R. Tomes, Relearning Counterinsurgency Warfare: Parameters U.S Army War College, Sprang 2004, p.6.

وعرفت «الحرب اللامتماثلة» بأنها تلك الحرب، التي تصف الصراع الذي فيه تختلف مصادر موارد المتحاربين اختلافاً جوهرياً سواء على مستوى المقاومة أو التفاعل، وتتميز بمحاولة استغلال نقاط ضعف بعضهم البعض، وتتضمن هذه الصراعات استراتيجيات وتكتيكات الحروب غير المألوفة وغير

التقليدية، فالمقاتلون الاضعف يحاولون استعمال هذه الاستراتيجية لمعادلة التوازن في الكمية والنوعية لدى الخصم[8].

(8) Ibid, p 6-7.

وفي ضوء هذا الفهم والإدراك عرف الجنرال «هنري شلتون» رئيس هيئة اركان القوات المشتركة الأميركية الاسبق الحرب اللامتماثلة بأنها: «محاولة طرف يعادي الولايات المتحدة الأميركية أن يلتف من حول قوتها ويستغل نقاط ضعفها، معتمداً في ذلك على وسائل تختلف بطريقة كاملة عن نوع العمليات التي يمكن توقعها. وعدم التوازي يعني أن يستخدم طاقة الحرب النفسية وما يصاحبها من شحنات الصدمة والعجز، لكي ينتزع في يده زمام المبادرة وحرية الحركة والإرادة، وبأسلوب يستخدم وسائل مستحدثة، وتكتيكات غير تقليدية، وأسلحة وتكنولوجيات جرى التوصل اليها بالتفكير في غير المتوقع وغير المعقول، ثم تطبيقه على كل مستويات الحرب، من الاستراتيجية إلى التكتيك، إلى العمليات لعرض أفق من البدائل طار إليها خيال لا يخطر على البال منطقياً ولا يطرح نفسه عملياً في التقديرات التي تستطيع تصورها»[9].

الحرب اللامتماثلة بأنها محاولة طرف يعادي الولايات المتحدة الأميركية أن يلتف من حول قوتها ويستغل نقاط ضعفها

(9) نقلا عن محمد المصري، مصدر سابق ذكره.

وهذا الادراك للحرب اللامتماثلة ذهبت اليه «المراجعة الاستراتيجية المشتركة» للولايات المتحدة الأميركية عام 1999، عندما عرفتها بأنها: محاولة الالتفاف وتقويض قوة الولايات المتحدة من خلال استغلال نقاط ضعفها، عن طريق استخدام الاساليب التي تختلف كثيراً عن اساليب الولايات المتحدة المتوقعة من العمليات. فمنهج اللاتماثلية يسعى بشكل عام إلى التأثير النفسي الكبير، كالصدمة وإثارة الفوضى والارتباك الذي يؤثر على مبادرة الخصم، وحرية العمل وحتى الارادة. إذ تطلب الاطراف اللامتماثلة تقدير نقاط ضعف الخصم وتوظيف الوسائل غير التقليدية بطرق أكثر ابداعاً في التكتيك، والأسلحة، والتكنولوجية، والتي يمكن تطبيقها على جميع المستويات من الحرب الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية، وعبر طائفة من العمليات العسكرية[10].

(10) David L.Buffalde, Op, Cit, p.12

وفي ضوء هذه التعريفات حدد «ديفيد كيلكولان» أربع أبعاد للحرب اللامتماثلة وهي:

أولاً: عدم التماثل التكنولوجي.

ثانياً: التباين في الاسلوب.

ثالثاً: عدم التماثل في المصالح.

رابعاً: عدم التماثل في الثقافة والقيم. ولكن عدم التماثل في التكنولوجية هو الأكثر وضوحاً[11]. (11) Ibid,p .15

وعلى أساس ما تقدم فإن عدم التماثل يعني عدم وجود أساس مشترك للمقارنة فيما يتعلق بالجودة، أو من حيث العمليات والقدرات[12]، فضلاً عن الاختلاف في التكلفة وتعدد الابعاد، فالحرب اللامتماثلة قياساً بالحرب التقليدية هي غير مكلفة للفواعل الضعيفة، إلا أنها مكلفة للفواعل القوية أي الدول تكلفة عالية، بسبب سعي الدول لتأمين كافة المجالات التي يمكن إن يستخدمها اصحاب الهجمات اللامتماثلة، ويتضح ذلك عندما تشن الحروب بشكل عام على المنظمات الارهابية، فعندما تخاض الحرب ضد دولة نظيرة، فكل طرف في الصراع لديه مخاطر مماثلة تكون على المحك كالسكان والأرض والمصالح، وعندما يكون الفاعل من غير الدول كالمنظمات الارهابية، فإن الأخيرة لا يوجد لديها سكان أو أرض مهددة بالخطر، ومن ثم تنخفض تكلفة شن الحرب لديها. كما أن الحرب اللامتماثلة هي حرب متعددة الابعاد وغير شكلية، فهي شبكة من التهديدات المختلفة بينما الحرب التقليدية خطية في الطبيعة[13]. (12) Ibid, p.11 (13) Ibid, p.14

ووفقاً لذلك فقد اختلفت اتجاهات التركيز والمناقشة ما بين الكتاب الاكاديميين والعسكريين في تناول موضوع الحرب اللامتماثلة، ومن خلال ارتباطها بحرب العصابات والتمرد والإرهاب ومكافحة الارهاب ومكافحة التمرد. إذ يميل الكتاب العسكريين إلى استعمال مصطلح الحرب اللامتماثلة للإشارة إلى الطابع غير المباشر للاستراتيجيات المتعددة، التي تتبنها الفواعل الضعيفة أو حتى طبيعة العدو نفسه، فمثلاً متوقع أن يكون الاعداء غير متماثلين بدلاً من التركيز على ميزان القوى، أما الكتاب الأكاديميين فيميل التركيز أكثر على شرح وتوضيح لغز نصر الفاعل الضعيف في الحرب، فإذا القوة تُفهم تقليدياً، فإن هذا يفضي إلى نصر الجانب الاقوى في الحرب، لكنها تهتم بشرح كيف ينتصر ضعيف على قوي؟ وتشمل التفسيرات الرئيسة الآتية[14]:

(14) Et Al Zhao: Anomalously Slow Attrition Times for Asymmetric Populations with Internal Group Dynamics, Physical Review Letters 103, October 2009, p. 23

1 ـ التفاعل الاستراتيجي.

2 ـ رغبة واستعداد الطرف الضعيف لتحمل المعاناة وتحمل التكاليف حتى لو كانت كبيرة.

3 ـ الدعم الخارجي للفواعل الضعيفة.

4 ـ التردد وعدم الرغبة في تصعيد العنف من قبل الجهات الفاعلة القوية.

5 ـ ديناميكيات الجماعة الضعيفة الداخلية.

وعليه فأن منظري الحرب اللامتماثلة يتحدثون عن مجال غامض من الاعداء لا يتضمن تشخيص للأهداف أو الاعداء، بل يتطرق إلى القيم وعلاقتها بالتكنولوجية، وإلى المساحات الجيوبوليتيكية التي يمكن أن تتحرك بشكل يخالف التوقعات مسببة بعض الكوارث للفواعل القوية كالقوى العظمى، وهو ما يركز عليه الباحث الأميركي «دان شواتر»، وذلك في معرض اشارته إلى الارهاب الذي يستخدم التقنيات السائدة والسهلة الاستخدام، ولكن عبر قيم وأساليب جديدة[15]، لذلك فإن هناك علاقة وثيقة بين الحرب اللامتماثلة والإرهاب، إذ تعد هذه الحرب من حروب الجيل الرابع، والتي تمارس خارج قوانين الحرب. فالحرب اللامتماثلة يتم تنفيذها من قبل الفواعل خارج نطاق الدولة Non - state Actors، والتي تتصل معها مصالح أو تتعاطف معها دول فاعلة State Actors، مما قد يعبر عنه حرب بالوكالة. وعادة ما يتم ذلك لإعطاء القدرة على الانكار للدول الفاعلة[16].

هناك علاقة وثيقة بين الحرب اللامتماثلة والإرهاب، إذ تعد هذه الحرب من حروب الجيل الرابع، والتي تمارس خارج قوانين الحرب

(15) محمد المصري، مصدر سابق ذكره.

(16) Ekaterina Stepanova: Terrorism in Asymmetrical Conflict Ideological and Structural Aspects, Sipri Research Report No. 23, Oxford Univ Press 2008, P.28

لقد غيرت هجمات الحادي عشر من ايلول/ سبتمبر 2001 العديد من المفاهيم، فهذه الهجمات اظهرت للغرب بأن العدو الجديد لا يلعب بأي قواعد تقليدية، أو احترام للحدود الوطنية، وعلى الرغم من أنه لا يمتلك تكنولوجية متقدمة، وقوة عسكرية كبيرة، إلا أنه تمكن من نشر المزيد من الدمار على أراضي الولايات المتحدة، ففي غضون ساعة ألحق دمار يعادل ما يقارب نصف قرن من الحرب الباردة[17]، لتظهر هذه الهجمات بأن الجيش أصبح ليس لديه القدرة بأن يكون بمثابة العازل بين الاعداء والشعوب. هذه الصدمة النفسية الغربية دفعت معظم النقاشات عن الحرب

(17) David L. Buffalde, Op, Cit, p.3

اللامتماثلة إلى ادراك مفاده أن الحرب قد تغيرت في الاستراتيجية والتكتيك والأمن والتهديدات وإلى الابد[18]، وفي ضوء هذا التغيير لمضمون الحرب أصبح الهدف وعلى نحو متزايد ليس قتل الناس أو احتلال الارض فحسب، بل استنزاف قدرات الاعداء والخصوم على استخدام قواتها العسكرية التقليدية مهما كانت درجة تفوقها، واستنزاف ارادته بذلك.

(18) Ibid, p.3

اذا ومن خلال ما تقدم فإن الحرب اللامتماثلة هي عدم مواجهة العدو من نقاط قوته والالتفاف حولها واستغلال نقاط ضعفه وتوجيه ضربه لها. أنها عملية تفكير وتخطيط في غير المتوقع، ليكون التطبيق وبأسلوب وبطرق غير متوقعة.

2 ـ خصائص الحرب اللامتماثلة

بالاستناد إلى نص تقرير «هيئة التقديرات» في البنتاغون ترتسم ملامح وخصائص الحرب اللامتماثلة بالآتي[19]:

(19) محمد المصري، مصدر سابق ذكره

1 ـ ليس هناك ميدان يتقابل فيه المحاربون أمام بعضهم مواجهة أو بالالتفاف.

2 ـ ان السلاح ليس متماثلاً حتى وأن اختلفت درجات قوته.

3 ـ ليس هناك صله بين فعل ورد فعل تجري ممارسته على ساحة معينة يدور فوقها اتصال.

4 ـ أن حفظ السلاح وفعل السلاح هنا خارج حساب أي منطق أو تصور يمكن توقعه. مع إن الحشد وسرعة الحركة والمفاجأة اساليب مطلوبة في كل انواع الحروب، إلا أنها في حالة الحرب اللامتماثلة مطلوبة أكثر لأنها لازمة لمدرسة التفكير في لا يمكن التفكير فيه مما لا يحكمه قيد أو أحد.

5 ـ لن هذا النوع من الحرب ليس مقيداً بمذاهب مصنفه بالحرب، إنما هو يلتقط الرسائل التي يفكر فيها بمصادفات الظروف، لكنه عندما يقابلها بالمصادفة يدرسها بعناية، ما يجعل التنبؤ المسبق بأعماله مهمة شاقة وعسيرة.

هذا النوع من الحرب ليس مقيداً بمذاهب مصنفه بالحرب، إنما هو يلتقط الرسائل التي يفكر فيها بمصادفات الظروف

6 ـ هذا النوع من الحروب جاهز بطبيعته لأعلى درجات المخاطرة والمجازفة، لأن الخسائر بالنسبة اليه في الحالتين واحدة، ومن ثم فإن أعلى

المخاطر تتساوى عنده مع أقلها. لذلك فأن استعداده لأقصى المخاطر يجعل ما لا يجوز التفكير فيه وارداً، كما يجعله ممكن حتى ولو كان في المقاييس الطبيعية من المستحيلات.

7 ـ هذا النوع من الحروب يمارس دوره بخلط مزيج قوي المفعول، بين ما هو مادي وما هو نفسي، وذلك أكثر ما يخدمه في الاساليب اللامتماثلة التي يستعملها.

8 ـ يمتاز العدو في هذه الحروب بروح معنوية عالية لدى افراده.

9 ـ كما تقتضي هذه الحرب ارادة قوية وتنظيماً جيداً وصبراً يراقب على مهل، لأنه ليس رد فعل يتحتم عليه أن يواجه فعلاً، حيث يتوقع الطرف الأخر أن يجيء زماناً ومكاناً.

ثانياً: المصالح والأهداف الأميركية الشرق اوسطية

تظل منطقة الشرق الاوسط واحدة من أهم مناطق التفاعل الاستراتيجي، نتيجة ما تحظى به من اهتمام عالمي من جميع القوى التي تناوبت على القيادة العالمية، أو التي حاولت مشاطرتها، أو التي تتطلع لأخذ زمام المبادرة لاحقاً، لهذا نلحظ اهتماماً استثنائياً في التخطيط الاستراتيجي للتواجد في هذه المنطقة والهيمنة عليها، مرة لأنها تحظى بالأهمية الجيو استراتيجية، ومرة لأهميتها الجيو اقتصادية، بل لا نبالغ بالقول أنها تجمع كل ذلك[20].

وفي ضوء هذه الأهمية، أفردت الولايات المتحدة الأميركية مساحة كبيرة لمنطقة الشرق الاوسط في اجندتها السياسية وتصوراتها الاستراتيجية، إذ اعلنت وبوضوح إن أي محاولة من أية قوة خارجية للسيطرة على هذه المنطقة، سيكون بمثابة تهديد للمصالح الحيوية الأميركية، أي عملت للربط بين الأمن القومي الأميركي والأمن القومي لهذه المنطقة الحيوية[21]، والمقصود بالمصالح الحيوية في الادراك الأميركي هي: «تلك التي تلزم نتائجها الولايات المتحدة بالاستعداد لتعزيزها بشكل انفرادي وبجميع الوسائل الضرورية، ويرقى هذا في بعض الآحيان إلى الخيار العسكري»[22]، وعليه تجسد أهم تلك المصالح الحيوية الأميركية في منطقة الشرق الاوسط بالاتي:

(20) فكرت نامق عبد الفتاح وعبد الجبار كريم الزويني، السياسة الخارجية الأميركية حيال الخليج العربي بعد عام 2003، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بغداد، 2012 ص5.

(21) علي فايز يوسف الدلابيح، توازن القوى وأثره في الشرق الاوسط بعد الاحتلال الأميركي للعراق 2003-2011، جامعة الشرق الاوسط، 2011، ص38.

(22) نقلا عن: خلدون ناجي معروف، جوانب اساسية من المصالح الحيوية الأميركية في المنطقة العربية، قضايا دولية، جامعة النهرين، ع (2) ربيع 2002، ص83.

1 ـ المصالح الجيو استراتيجية

ويقصد بالمصالح الجيو استراتيجية في الادراك الأميركي بأنها: الادارة الاستراتيجية للمصالح الجيوبوليتيكية[23]، وعليه فإن التواجد الأميركي في هذه المنطقة تتيح لها التحكم بالمحيط الاقليمي، إذ تعد المنطقة بالنسبة للاستراتيجية الأميركية القاعدة الأكثر ضرورة في العالم في صراعها أو تنافسها مع القوى الكبرى الأخرى[24].

فالموقع الجيوبوليتيكي للشرق الاوسط يمثل القاعدة الاساسية التي تحدد علاقة الولايات المتحدة بمختلف مناطق العالم ودوله، إذ يقع في قلب العالم القديم آسيا وأفريقيا وأوروبا، والموقع الحضاري الذي يقع في وسط منطقة الحضارات القديمة والمتوسطة والحديثة، وكذلك وقوعه في مركز الحروب والأزمات العالمية والإقليمية والأهلية[25]، وتجتمع فيه معظم شبكات المواصلات العالمية الجوية والبحرية والبرية، ويتحكم في عدد من الممرات المائية المهمة مثل مضيق هرمز، وباب المندب، وجبل طارق، فضلاً عن قناة السويس التي تعد شريان حيوي للملاحة العالمية، مما يجعل منطقة الشرق الاوسط همزة وصل للتفاعلات الدولية[26]، وهذا ما سلط عليه الضوء من قبل الرئيس الأميركي الاسبق «هاري ترومان» في 6 نيسان/ ابريل 1947 قائلاً: «إن هذه المنطقة تقع عند ملتقى أهم طرق المواصلات الارضية والجوية والبحرية، وهي بذلك منطقة ذات أهمية استراتيجية عظيمة»[27]، وعلى أساس هذه الحقائق الجيو استراتيجية عملت الولايات المتحدة الأميركية على تدعيم تواجدها في المنطقة من خلال[28]:

1 ـ ضمان استمرارية انتفاع الولايات المتحدة بالقواعد والتسهيلات العسكرية التي حصلت عليها في دول المنطقة المختلفة.

2 ـ محاولة اقامة خطوط دفاعية متقدمة في المنطقة.

3 ـ دعم التفوق الاستراتيجي الاسرائيلي بعدّه الأداة الرئيسة للاستراتيجية الأميركية في المنطقة، وعنصراً من عناصر ردع القوى الاقليمية.

4 ـ تدعيم التعاون العسكري مع دول المنطقة من خلال معاهدات الدفاع المشترك والترتيبات الدفاعية الاقليمية، ومن خلال التعاون في مجال السلاح والإمداد بالخبراء العسكريين وإجراء المناورات العسكرية المشتركة مع قوات دول المنطقة.

(23) زبيغنيو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى: السيطرة الأميركية وما يترتب عليها جيواستراتيجيا، ترجمة ونشر مركز الدراسات العسكرية، ط 2، دمشق، 1999 ص37.

(24) خلدون ناجي معروف، مصدر سابق ذكره، ص 83.

(25) بكر تنيره، الاتجاهات الجديدة للسياسة الخارجية الأميركية في الوطن العربي، مجلة شؤون عربية، ع (106)2001، ص69)

(26) علي فايز يوسف، مصدر سابق ذكره، ص16.

(27) نقلاً عن: فكرت نامق عبد الفتاح وعبد الجبار كريم الزويني، مصدر سابق ذكره، ص59.

(28) خلدون ناجي معروف، مصدر سابق ذكره، ص84.

5 ـ دعم قدرات القوات الأميركية على التدخل السريع في المنطقة اثناء الازمات.

6 ـ محاصرة والضغط على نفوذ القوى الكبرى والإقليمية والحيلولة دون انتشاره.

7 ـ المصالح والأهداف الاقتصادية:

وتتجسد أهم تلك المصالح والأهداف بالنفط، والذي يُعد عاملاً من العوامل البنيوية لصلته بالاقتصاد الأميركي من جانب، وبالاقتصاد الرأسمال والغربي من جانب آخر. لذلك تجسدت الرؤية الأميركية في مسألة ضمان تدفق النفط الشرق اوسطي اليها وإلى حلفائها من أهم الضرورات الاستراتيجية، والتصدي لأي عقبات قد تحول دون وصول نفط المنطقة إلى العالم الغربي، وتُعد منطقة الخليج من أهم مناطق النفط في العالم ففيها ثلثي الخزين النفطي العالمي المعلن. وعليه اهتمت الولايات المتحدة بالسيطرة على النفط الخليجي، وعدته أحد المقومات الحيوية لأمنها القومي، ليس لسد احتياجاتها فحسب، بل للسيطرة على سوق الطاقة في العالم[29]، ومن ثم السيطرة على توزيعه سواء لحلفائها أو منافسيها.

ومن هنا، فقد رفع «لكولكن مان» أحد خبراء الاستراتيجية الأميركية في حزيران/ يوليو 1990، مذكرة حول مفهوم الاستراتيجية الأميركية في منطقة الشرق الاوسط، أكد بأن الولايات المتحدة الأميركية قُبالة حقب عالمية جديدة، وأيضا نظام دولي جديد، يسيطر فيه مفهوم الاقتصاد والقوة الاقتصادية على ما عدا من المفاهيم والقوة العسكرية، حيث اوضح الخبير الاستراتيجي في مذكرته: إن من يسيطر على زمام المحركات الاقتصادية سيسيطر على زمام القوة الدولية الفعلية. ولذا اصبحت هذه الدول تبحث عن قوتها الاقتصادية، وعليه وضعت ادارة جوج بوش الاب خطة للسيطرة على المنطقة على أساس أن أي قوة اقتصادية لن تستطيع أن تحقق قوتها من دون الاعتماد على نفط هذه المنطقة، ومن يسيطر على نفط هذه المنطقة سوف يسيطر على مصادر القوة الاقتصادية في العقود القادمة[30].

فضلاً عن الفوائض النفطية الهائلة، إذ عادت دول الخليج اليوم إلى احتلال موقعها كجهات اقراض حيوية لسائر دول العالم، ومنها الولايات المتحدة الأميركية بالأخص التي تعتمد اعتماداً كبيراً على تدفقات الرساميل

(29) المصدر نفسه، ص 85، وينظر كذلك: سامي السياغي، السياسة الأميركية تجاه الارهاب بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001، معهد البحوث والدراسات، القاهرة، 2004، ص 80.

(30) فكرت نامق عبد الفتاح وعبد الجبار كريم الزويني، مصدر سابق ذكره، ص 35، ينظر كذلك: حسين حافظ وهيب، استراتيجية الادارة الأميركية الجديدة ازاء الشرق الاوسط، دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، ع(46)، ص62.

الاجنبية[31]، إلى جانب ذلك تتمتع المنطقة بإمكانات مادية وتجارية جعلها محط انظار الاستثمارات العالمية، وفي مقدمتها الاستثمارات الأميركية، فضلاً عن كونها أكبر سوق استهلاكية في العالم[32].

1 ـ الأمن الاسرائيلي

يُعد ضمان الأمن الاسرائيلي في منطقة الشرق الاوسط امراً حاسماً بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية[33]، فدعم التفوق الاستراتيجي الاسرائيلي يُعد هدف رئيس بعدّه الاداة الاستراتيجية الأميركية الرئيسة في المنطقة، وعنصراً من عناصر الردع للقوى الاقليمية المعادية، فضلاً عن أن اسرائيل هي القاعدة الاستراتيجية التي لا يمكن مقارنتها بأي علاقة مع أي من دول المنطقة، ومن هنا لا يمكن فصل الاستراتيجية الأميركية عن الاستراتيجية الاسرائيلية، فعناصر التخطيط الاستراتيجي لكليهما متداخلة ومترابطة. فضلاً عن أن هذا الالتزام الأميركي بإسرائيل ليس نابعاً فقط من كون إسرائيل تمثل حامية للمصالح الأميركية فحسب، بل تتأثر بالعوامل الداخلية كاللوبي، والعوامل الثقافية والدينية وغيرها[34].

لقد مثلت المصالح السابقة للولايات المتحدة الأميركية «ثالوث استراتيجي» تشكلت في ضوءها عصب الاهداف الاستراتيجية الأميركية في منطقة الشرق الاوسط، ولكن ما لاحظناه ومنذ بداية الالفية الجديدة ولا سيّما بعد احداث 11 ايلول/ سبتمبر 2001 دخول عنصر جديد متجسد بالقضاء على الارهاب، حيث اصبح محور الاستراتيجية الأميركية في المنطقة، والذي يتيح لها في الحقيقة السيطرة وتحقيق ذلك «الثالوث الاستراتيجي» في منطقة الشرق الاوسط.

لا يمكن فصل الاستراتيجية الأميركية عن الاستراتيجية الاسرائيلية، فعناصر التخطيط الاستراتيجي لكليهما متداخلة ومترابطة

إن الخصائص والمصالح السابقة لمنطقة الشرق الاوسط، جعلت الكاتب الأميركي «شانتال كوادرات» يصفها بـ"اهميتها الاستراتيجية عابرة الإقليمية»[35]، وفي ضوء هذه الاهمية المتزايدة للمنطقة وضح مخططي السياسة الخارجية الأميركية «ريتشارد ن. هاس» و«مارتين انديك»، بأن الشرق الاوسط: سيبقى ولعقود قادمة حاجة حيوية بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية بالنظر إلى موقعه الجيو ـ استراتيجي، وثروته النفطية والمالية، والتزام الولايات المتحدة بوجود إسرائيل، وإمكانية خروج الارهاب من المنطقة، وانتشار المواد والأسلحة النووية فيها.

(31) ايزوبيل كولمن وتمارا كوفمن ويتس، التنمية الاقتصادية والسياسية في الشرق الاوسط، تدبير أمر التغيير وبناء نوع جديد من المشاركة، في ريتشارد ن. هاس وآخرون: استعادة التوازن استراتيجية للشرق الاوسط برسم الرئيس الجديد، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2009 ص227)

(32) فكرت نامق عبد الفتاح وعبد الجبار كريم الزويني: مصدر سابق ذكره، ص 8.

(33) برادلي أ. تاير، السلام الأميركي والشرق الاوسط، المصالح الاستراتيجية الكبرى لأميركا في المنطقة بعد 11 ايلول، ترجمة عماد فوزي شعيبي، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2004، ص 38.

(34) خلدون ناجي معروف، مصدر سابق ذكره، ص 89، للمزيد ينظر: غازي حسين، الشرق الاوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والامبريالية العالمية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.

(35) سرمد عبد الستار امين، رؤية استراتيجية جديدة للأمن في الشرق الاوسط، دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، ع(29) كانون الاول 2005، ص74.

وأي خفض يطرأ على التدخل والتعاطي الأميركي سيعود حتماً بالضرر على تلك المصالح جمعاء. لذلك اوضحا بأنه يجب أن يكون هدف الولايات المتحدة هو الحفاظ على انخراطهما في المنطقة.[36] وهذا ما أكد عليه الرئيس الأميركي «اوباما» في 19 ايار/ مايو 2011 بقوله: «على مدى عقود من الزمن، انتهجت الولايات المتحدة العمل على مجموعة من المصالح الجوهرية في المنطقة هي مكافحة الارهاب، ووقف انتشار الاسلحة النووية، وضمان حرية حركة التجارة، وضمان أمن المنطقة، والذود عن أمن إسرائيل، والسعي بسلام عربي إسرائيلي[37].

(36) ريتشارد ن. هاس و مارتن انديك، أنه وقت التجديد للدبلوماسية، نحو استراتيجية أميركية جديدة في الشرق الاوسط، في ريتشارد ن. هاس وآخرون، استعادة التوازن استراتيجية للشرق الاوسط برسم الرئيس الجديد، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2009 ص 14.

(37) مروان بشارة، أهداف الولايات المتحدة واستراتيجيتها في العالم العربي، سلسلة دراسات عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ع (1) اذار/ مارس 2013، ص2.

ثالثاً: «داعش» والتوظيف الأميركي

الولايات المتحدة الأميركية كقوة عظمى تمتلك من الادوات والوسائل والإمكانات والقدرات ما تفتقر إليه باقي دول العالم الأخرى، تسخرها المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في أطار رؤية وفكر وتفكير وتخطيط استراتيجي، يتيح لها كدولة الاستغلال الافضل لتلك الامكانات والقدرات، والتوظيف الأمثل لتلك الوسائل والأدوات، وبما يضمن لها تحقيق الاهداف والمصالح التي ترنو إلى تحقيقها، سواء العالمية منها أو الاقليمية. ومن تلك الادوات والآليات لتحقيق اهدافها هو عبر الفواعل خارج نطاق الدولة Non- state Actors، مثل تنظيم «داعش» في منطقة الشرق الاوسط لإعادة ترتيبه من جديد، وبما يضمن تحقيق مصالحها فيه وإحكام سيطرتها عليه.

أولاً: الفواعل خارج نطاق الدولة Non - state Actors

بدت الولايات المتحدة ومنذ أحداث 11 ايلول/ سبتمبر 2001، بتوظيف هذه الفواعل سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة لتحقيق اهدافها ومصالحها، فاعتماد على القوة العسكرية الأميركية المباشرة أو الاحتلال العسكري المباشر للدول أو الاقاليم لتحقيق تلك الاهداف كلف الولايات المتحدة خسائر هائلة في الاموال والأرواح، فضلاً عن تصعد الرأي العام الداخلي والعالمي ضد هذه السياسات الانفرادية وهذا الاستخدام المفرط للقوة، وهذا ما كان واضحاً في احتلالها لأفغانستان عام 2001، والعراق عام 2003، مما جعل الادراك الأميركي يتحول في استثمار الادوات وعكس الاتجاه عن طريق استغلال الفواعل خارج نطاق الدولة في تحقيق اهدافه في منطقة الشرق الاوسط.

فالقوى الفاعلة خارج نطاق الدولة، هي جماعات تمتلك هوية مستقلة وتعمل في أطار منفصل عن نشاط الدولة، ويصنفها بعض فقهاء علم السياسة ضمن سياق الحركات الاجتماعية ومن أبرزها: الجماعات المتطرفة، والمجموعات العرقية والمذهبية المنظمة، والجماعات السياسية العابرة للحدود. وتمثل أهم التحديات من جهة القوى غير التابعة للدول خطر كبير على الأمن الوطني والإقليمي والعالمي. وقد اصبح لهذه العناصر دور لا يستهان به في الشرق الاوسط في مطلع القرن الحادي والعشرين، حيث تطور نفوذها وازداد تأثيرها في السياسات الاقليمية والدولية على نحو غير مسبوق.

واستقطبت هذه الظاهرة اهتمام الباحثين الغربيين، الذين تناولوا ظروف ونشأة هذه القوى والمشكلات التي ارتبطت بظهورها، مثل إشكاليات: الشرعية، ونمط العلاقة مع الدولة، وتأثير هذه المجموعات على العلاقات الدولية وعلى منظومات الأمن الاقليمي.

ويمكن الحديث عن انماط مختلفة من هذه القوى منها: العناصر الفاعلة التقليدية كالمنظمات غير الحكومية، والمنظمات الدولية، والشركات متعددة الجنسيات. وبرزت في الآونة الأخيرة عناصر فاعلة جديدة من المجموعات التي تتمتع بالاستقلال التام عن تمويل الحكومة المركزية، وتتبنى سياسيات خارجية مستقلة عن سياسات الدول التي تنتمي اليها، وفي ضوء هذا فإن هناك عناصر فاعلة ينحصر نشاطها في دولة واحدة مثل الجماعات السياسية أو مجموعات الضغط، وهناك قوى فاعلة عابرة للحدود، ويمكن تصنيف العديد منها على أنها قوى فاعلة مسلحة Armed Non- state Actors، وقوى فاعلة تنتهج العنف - Violence Non state Actors، وتتبنى برامج سياسية تهدف إلى هدم الدول التي تعمل على اراضيها بهدف اقامة دول أخرى بديلة. ومثال ذلك القاعدة، و«داعش»، فضلاً عن هذه المجموعات فقد شهدت الآونة الأخيرة ظهور جيل ثالث من القوى خارج نطاق الدولة، والتي اصطلح على تسميتها «الفاعلون الافتراضيون»، وهي مجموعات منظمة لكنها لا تعمل عبر هيكل واضح، بل تنشط من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، إذ عززت مظاهر العولمة وتطور وسائل التواصل الاجتماعي تأثير هذه العناصر وقدرتها[38]، ومن أبرز هذه الفواعل خارج أطار الدولة هي تنظيم «داعش».

شهدت الآونة الأخيرة ظهور جيل ثالث من القوى خارج نطاق الدولة، والتي اصطلح على تسميتها «الفاعلون الافتراضيون»

(38) للمزيد ينظر: محمد عبد الغفار، الاستراتيجية الاقليمية والدولية لأمن منطقة الخليج العربي، رؤية في محركات الصراع الاستراتيجي والتفاعلات الاقليمية معها، مركز البحرين للدراسات الاستراتيجية والدولية والطاقة، المنامة، 2012، ص 24.

– بول ويلكينسون: العلاقات الدولية: مقدمة قصيرة جداً، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2013، ص 67.

ثانياً: «داعش» وآليات التوظيف

تمثل «داعش» عصابات غير نظامية، سريعة الحركة والتنقل والانتشار والاختباء بين الناس، ولديها موارد مالية ومصادر تمويل، وأمامها حدود مفتوحة، ولديها القدرة على اثارة الرعب وإحداث التدمير[39]، وكلمة «داعش» هي مختصر للتسمية التي تطلقها على نفسها «الدولة الاسلامية في العراق والشام»، وأغلب عناصرها جاءوا بالأصل من تنظيم القاعدة، التي سبق أن مولتها ودربتها وسخرتها الولايات المتحدة الأميركية في صراعها مع السوفيات في افغانستان بقيادة «اسامة بن لادن»[40]

تأسس التنظيم عام 2004 على يد «ابو مصعب الزرقاوي» تحت اسم «جماعة التوحيد والجهاد»، ثم ارتبط بتنظيم القاعدة اواخر ذات العام تحت اسم «قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين»، وشهد التنظيم مراحل صعود وهبوط ارتبطت بالضربات التي وجهت له من قبل القوات الأميركية، وتبعاً لتغير نمط القيادة داخل التنظيم ذاته، فبعد مقتل الزرقاوي في حزيران/ يونيو2006، جاءت مرحلة «ابو عمر البغدادي» و «ابو حمزة المهاجر»، ومع سقوط هذه القيادات اصبح التنظيم أكثر سرية، وغدا «ابو بكر البغدادي» اميراً لما يعرف بـ«دولة العراق الاسلامية» وذلك بعد أن تغير اسمه من «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين».

«داعش» عصابات غير نظامية، سريعة الحركة والتنقل والانتشار والاختباء بين الناس، ولديها موارد مالية ومصادر تمويل، وأمامها حدود مفتوحة، ولديها القدرة على اثارة الرعب وإحداث التدمير

وقد ارسل البغدادي عناصر من تنظيمه إلى سوريا في منتصف عام 2011 لتأسيس «جبهة النصرة»، وفي نيسان/ ابريل 2013 أعلن دمج وتوحيد «دولة العراق الاسلامية» و«جبهة النصرة»، تحت اسم «الدولة الاسلامية في العراق والشام»، وهو ما رفضه «ابو محمد الجولاني» زعيم تنظيم «جبهة النصرة»، وهذا ما افضى إلى اعلان «ايمن الظواهري» زعيم تنظيم القاعدة، بتحديد الولاية المكانية للبغدادي في العراق، كما حدد الولاية المكانية للجولاني بسوريا، وهو ما رفضه البغدادي، كونه لا يعترف بالحدود الجغرافية ويسعى لما يسميه تنظيمه «دولة الخلافة الاسلامية»[41].

وتعتمد استراتيجية «داعش» على استخدام النخبة المتشربة بالفكرة (الجهادية)[42]، ويتبنى التنظيم اطروحات نظرية متطرفة تجيز قتل المخالف له، حتى ضمن التيار (الجهادي) نفسه، فضلاً إلى تبنيه اساليب التفجير وسط المدنيين والتعذيب والاغتيالات، فضلاً عن رفضه النظري للحدود القطرية

(39) كامل كاظم العضاض، تأملات ودروس من الهجمة الداعشية في شمال العراق، عن شبكة المعلومات الدولية الانترنيت: www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=420946

(40) المصدر نفسه، ينظر كذلك: محمد العمر، دولة البغدادي: داعش" ظروف النشأة ومعضلة التمويل، يونيو 2014، ص2.

(41) محمد عبد القادر خليل، التوظيف المتبادل، لماذا تصاعد الصراع العسكري بين المالكي وداعش؟، المركز العربي للبحوث والدراسات، 2014، ص2.

(42) فيلكس لغراند، استراتيجية داعش الاستعمارية في سوريا، مبادرة الاصلاح العربي، تموز/ يوليو 2014، ص1.

والمشاريع المرتبطة به. واتبع التنظيم وسائل قطع الرؤوس على العلن للترهيب، فضلاً عن تعذيبه المعتقلين، وصولاً إلى التصفيات الجماعية[43]، ويعد التنظيم في الوقت الراهن التنظيم الاقوى والأكثر تمويلاً وعتاداً ورجالاً وانتشاراً بين اقرانه من التنظيمات المتطرفة في المنطقة.

(43) الشبكة السورية لحقوق الإنسان، تنظيم دولة العراق والشام: نشأته وتوثيق لأبرز الانتهاكات التي قام بها، كانون الثاني 2014، ص 2.

وفي تطور كبير، قام تنظيم «داعش» يوم 10 حزيران/يونيو 2014، بهجوم خاطف وسريع على مدينة الموصل تبعها انسحاب كامل للقوات المسلحة العراقية، نتج عنه سيطرة «داعش» على الموصل بكاملها، ومن ثم زحف التنظيم إلى محافظات صلاح الدين، وكركوك، وديإلى متوعدين بدخول العاصمة بغداد.

تعتمد استراتيجية «داعش» على استخدام النخبة المتشربة بالفكرة (الجهادية)، ويتبنى التنظيم اطروحات نظرية متطرفة تجيز قتل المخالف له، حتى ضمن التيار (الجهادي) نفسه

وفي ضوء هذه السيطرة الجديدة أعلن تنظيم «داعش» اقامة (خلافته الاسلامية)، ودولته تحت مسمى «الدولة الاسلامية» التي يراد منها ازالة الحدود بين العراق وسوريا، داعياً الفصائل (الجهادية) في مختلف انحاء العالم لمبايعته. وبإعلانه (الخلافة) فقد سقطت بذلك كل اشارة جغرافية ـ سياسية.

إن «داعش» تخطى الحدود كونه من ارهاصات الصراعات القائمة، وأصبح مصدراً وحافزاً لصراعات جديدة، من خلال الاراضي التي سيطر عليها، ودمجه الحرب السورية والعراقية في معركة واحدة كبرى، فضلاً عن تهديد استقرار المنطقة ككل على نطاق واسع[44]

(44) مجلة أميركية ترصد «داعش» بين الحقيقة والسراب، عن شبكة المعلومات الدولية الانترنيت http:// eshahed.com/main/news/88546

ثالثاً: آليات التوظيف:

إن القوة المنظمة التي تتمتع بها «داعش» في كل من العراق وسوريا، يُدرك المطلع وحتى المتابع أن خلف هذا السر، دعم منظم، وتفكير وتخطيط استراتيجيين على أعلى المستويات، لا تستطيع حتى الدول الاقليمية القيام به.

القوة المنظمة التي تتمتع بها «داعش» في كل من العراق وسوريا، يُدرك المطلع وحتى المتابع أن خلف هذا السر، دعم منظم، وتفكير وتخطيط استراتيجيين على أعلى المستويات

إذ كشف «ادوارد سنودن» المتعاقد مع وكالة الأمن القومي الأميركي، إن الأخيرة وبالتعاون مع نظيراتها

الحل الوحيد لحماية إسرائيل يكمن في خلق عدو قريب من حدودها، لكن سلاحه موجه نحو الدول الرافضة لوجودها

البريطانية «MI6» ومعهد الاستخبارات والمهمات الخاصة «الموساد» مهدت لظهور «داعش». إذ نشر موقع «ذي انترسيبت» تسريبات عن سنودن تؤكد تعاون هذه الاجهزة السابقة لخلق تنظيم ارهابي قادر على استقطاب المتطرفين من جميع انحاء العالم في مكان واحد. وأظهرت وثائق مسربة من وكالة الأمن القومي، إن الأخيرة قامت بتنفيذ خطة بريطانية قديمة تعرف بـ«عش الدبابير» لحماية اسرائيل، تقضي بإنشاء تنظيم شعاراته إسلامية يتكون من مجموعة من الاحكام المتطرفة التي ترفض أي فكر آخر أو منافس له. وبحسب وثائق سنودن، فإن الحل الوحيد لحماية إسرائيل يكمن في خلق عدو قريب من حدودها، لكن سلاحه موجه نحو الدول الرافضة لوجودها[45].

ويكشف الكاتب «توني كارتالوشي» أن «داعش» اعدتها الادارة الأميركية بمساعدة قطرية وسعودية، وأن هناك علاقة وثيقة سرية بين هذه الاطراف وتنظيم «داعش» التي تعد رأس الحربة العلنية في الهجوم الطائفي على كل من هو خارج تقاليد الوهابية في العالمين العربي والإسلامي. ويضيف «كارتالوتشي» إن تزايد العلاقات والمصالح بين ايران وسوريا والعراق، وموقعهم الاستراتيجي والتاريخي والإسلامي، ومناهضة ايران وسوريا للسياسة الأميركية وتهديدهما لإسرائيل دفع الولايات المتحدة وحلفاءها في المنطقة إلى ابتكار تسعى من خلاله إلى تدمير قدراتها ومصادر ثروتها بحروب داخلية[46]

وفي هذا السياق التوظيفي لـ«داعش» يقول «جوستين بافوني» الضابط السابق في سلاح الجو الأميركي، إن الادارة الأميركية تريد السيطرة على جميع الدول النفطية القديمة والجديدة في الشرق الاوسط. ويرى «بافوني» أن اوباما يوظف مال النفط العربي للسيطرة على المزيد من النفط في دول جرى اكتشاف الغاز والنفط فيها منذ سنوات أو أكثر، وبهذه الطريقة يريد تحقيق ارباح مالية للمصلحة الأميركية بتوظيف أموال نفط من دول الخليج بشراء السلاح ونشر الاقتتال الداخلي في دول مثل العراق وسوريا ومصر وليبيا ولبنان. ويزيد «بافوني» بأن الولايات المتحدة قادرة على إعادة توظيف هذه الاموال في حروب تحقق لها المزيد من الارباح، من دون أن تعرض أموال دافع الضرائب الأميركي لأي خطر[47] كما حدث سابقاً.

(45) سنودن، عش الدبابير خطة مهدت لظهور داعش، بريطانيا خططت والموساد اشرف ودرب، عن شبكة المعلومات الدولية الانترنيت http://burathanews.com/news/241801.htm/

(46) تحسين الجلبي، داعش والتحالف مع واشنطن واموال النفط العربي، عن شبكة المعلومات الدولية الانترنيت www.alwatan.sy/view.aspx?id=18195

(47) المصدر نفسه

إن الادوات التي تستخدمها الادارة الأميركية في «تفريخ» الحروب الداخلية، وتوسيع دوائرها لأهداف أميركية هي المجموعات والمنظمات الاسلامية المتشددة نفسها، التي تنشر الدمار والقتال في العراق وسوريا وعن طريق الحرب اللامتماثلة. فالأموال التي تحصل عليها منظمة مثل «داعش» فضلاً عن الاسلحة توفر تجنيد الكثير من الاعداد من الدول الاسلامية العربية وغير العربية وزجهم في أي حرب لا متماثلة تعمل فيها «داعش».

وبذلك تحولت استراتيجية الارهاب وبشكل حاد إلى تدمير الخصم أو على الأقل الانهاك المستمر لقوى الدولة، وهدفهم هو تدمير الدولة أو احداث أكبر قدر ممكن من الخسائر[48]، ليصبح الارهاب وتحت استخدامه الجديد «الحرب اللامتماثلة» سلاحاً تستخدمه الولايات المتحدة، كبديل عن الحروب التقليدية في صراعها واندفاعها نحو تحقيق اهدافها ومصالحها الاستراتيجية.

(48) مختار شعيب، الارهاب صناعة عالمية، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2004، ص33.

فتوظيف الاسلام الارهابي[*] والحركات الجهادية من قبل الولايات المتحدة لم يكن اليوم، بل وظفت الولايات المتحدة هذه الحركات في قتالها ضد السوفيات بالنيابة عنها، فالإسلام المتطرف أدى خدمات كبيرة للمشروع الأميركي في المنطقة بما في ذلك تقديم الذرائع الكافية لغزو افغانستان ومن ثم العراق، وها هو الاسلام التكفيري يقوم بإشعال أكبر فتنة طائفية عرفها العالمين العربي والاسلامي في العصر الحديث والمعاصر، بهدف إعادة رسم خارطة المنطقة.

(*) الاسلام الارهابي، اخضاع الممارسات الانسانية بجميع جوانبها للمعايير العقائدية، وتطبيق المفهوم الجهادي للوصول إلى الاهداف المنشودة. للمزيد ينظر: احمد البرصان ومحمد صقر (محرران)، التوجهات الغربية نحو الاسلام السياسي في الشرق الاوسط، مركز دراسات الشرق الاوسط، عمان، 2000، ص82.

وبهذا فإن «داعش» فتح المنطقة بإزاء تحالفات جديدة، وخصومات جديدة. فمنطقة الشرق الاوسط ستدخل حقبة جديدة من الصراع والتناحر الطائفي والعرقي، الذي يؤدي بالنتيجة في حال استمراره إلى تغير الخريطة الجيوبوليتيكية للمنطقة. ومن خلال الحروب اللامتماثلة التي يشهدها العراق وسوريا وكذلك ليبيا، وفي بعض الآحيان مصر.

الولايات المتحدة الأميركية وعن طريق توظيف «داعش» تستهدف إعادة رسم خرائط دول الشرق الاوسط وعلى أساس حروب طائفية وعرقية

والولايات المتحدة الأميركية وعن طريق توظيف «داعش» تستهدف إعادة رسم خرائط دول الشرق الاوسط وعلى أساس حروب طائفية وعرقية، خدمة لثالوثها الاستراتيجي وبما يضمن بقاءها اللاعب الأقوى، والقائد المهيمن في رسم الاستراتيجيات الدولية والإقليمية وما يستتبعها من

خلق قوس من عدم الاستقرار والفوضى التي تبدأ من لبنان وفلسطين، فسوريا فالعراق، فالخليج فإيران وصولاً إلى افغانستان

هيمنة تجارية واقتصادية، وإن الثغرة الممكنة لهذا الغرض تنبع من توظيف وإشعال الفتنة الطائفية والعرقية وبما يساعد في إعادة رسم الخرائط للمنطقة.

فالتوظيف «الداعشي» في حقيقته، يمثل جزء وآلية من آليات مشروع «الشرق الاوسط الجديد» الذي قدمته «كوندليزا رايس» في حزيران/ يونيو 2006، والذي تضمن خلق قوس من عدم الاستقرار والفوضى التي تبدأ من لبنان وفلسطين، فسوريا فالعراق، فالخليج فإيران وصولاً إلى افغانستان، إذ يهدف هذا المشروع إلى إعادة رسم خريطة الشرق الاوسط وفقاً لحاجات الولايات المتحدة السياسية وأهدافها[49].

وفي هذا السياق جاءت تصريحات «جيمس وولسن» المدير الاسبق لوكالة الاستخبارات الأميركية، التي أكدت أن الحرب الأميركية على العراق لا تهدف فقط إلى مجرد إزالة اسلحة الدمار الشامل العراقية، أو حتى الاطاحة بنظام «صدام حسين»، وإنما يُعد ذلك مجرد بداية لتنفيذ خطة أميركية متكاملة، تهدف إلى تحقيق تحولات كبرى في منطقة الشرق الاوسط، سعياً إلى تكرار تجربة أوروبا الشرقية في المنطقة، بما في ذلك اشعال موجة من التحولات الداخلية في دول المنطقة[50]، وهذا ما وصفه وزير الخارجية الأميركي الاسبق «كولن باول» بقوله «بيئة استراتيجية جديدة في منطقة الشرق الاوسط[51]، ستحدث تبدلاً عميقاً في المعالم السياسية للمنطقة.

وعليه فإن رسم معالم هذه الخارطة الجديدة بدأت بالعراق، ومن ثم جاء الاستفتاء لتقسيم السودان، وذلك على ركام حرب داخلية طويلة وقاسية، أثر ذلك تم التسريع من وتيرة هذه العملية مع ولادة ما يسمى بـ(الربيع العربي)، وقيام ثورات وانتفاضات في العديد من الدول العربية، أدت إلى نشوء حروب داخلية وعدم استقرار في أغلب البلدان التي حدث فيها[52]، وصولاً إلى استخدام «داعش» في حربها اللامتماثلة للتسريع من إعادة الرسم والهيكلة للمنطقة.

فإعادة تشكيل المنطقة لا تتضمن جانب دون آخر، فهي تشتمل على إعادة تشكيل المناخ السائد فيها، ومحوره تصفية الارث الايديولوجي والتنظيمي والجيوبوليتيكي القومي العربي والإسلامي، وفرض تصورات تتفق ومنطق المصالح الأميركية المستقبلية في المنطقة[53].

(49) حسام الدين جاد الرب، خطط إعادة رسم الشرق الاوسط رؤية جيوبوليتيكية أميركية، دار النشر الالكتروني، جامعة اسيوط، 2007، ص 31.

(50) زينب عبد العظيم، الاستراتيجية الأميركية العالمية واستمرار الحرب ضد الارهاب، في الاستراتيجية الأميركية بعد 11 سبتمبر، مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2003، ص 849.

(51) نقلا عن برادلي ا. تاير، مصدر سابق ذكره، ص37.

(52) ألوف بن: تخدير، الشرق الاوسط في مرحلة الاعمار، في الشرق الاوسط خرائط جديدة ترسم، سلسلة ترجمة الزيتون ع (74)، مركز الزيتونة، بيروت، 2007، ص6.

(53) سرمد عبد الستار أمين، مصدر سابق ذكره، ص89.

كلما تزداد المنطقة اضطراباً وعدم استقرار، بسبب عثرات الولايات المتحدة وأخطائها بالدرجة الأولى، تتعاظم الحاجة إليها

ووفقاً لذلك فإن إعادة تشكيل المنطقة يقوم على أساس استراتيجيتين أميركيتين متداخلتين وهما: مفاتيح التدخل، والفوضى الخلاقة. فالاستراتيجية الأولى تقوم في البحث عن بؤر التوتر، وإشعال الصراعات الاقليمية في مناطق نفوذ القوى الأخرى، ثم يأتي التحكم في هذه الصراعات عن طريق الانهاك الجماعي للقوى الاقليمية المتصارعة، ومن ثم التدخل الأميركي ليصبح خاتمة لهذه النزاعات بعد ضمان سيطرتها على منطقة النزاع مستغلة قوتها العسكرية لحسم الصراع، وقدرتها الاقتصادية للسيطرة على المنطقة[54]، ومفاتيح التدخل تنطلق من مسلمة اساسية في المنطقة، تقوم على فكرة أن غالبية دول المنطقة تنظر إلى الولايات المتحدة بوصفها الضامن النهائي والأخير لأمنها، والقوة التي يجب أن تكون الأكثر اقتداراً على مساعدتها في تحقيق اهدافها، ووجه المفارقة هنا هو، كلما تزداد المنطقة اضطراباً وعدم استقرار، بسبب عثرات الولايات المتحدة وأخطائها بالدرجة الأولى، تتعاظم الحاجة إليها[55].

(54) زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية، ثلاثة رؤساء وأزمة القوى العظمى الأميركية، ترجمة عمر الايوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2007، ص70.

(55) ريتشارد ن. هاس ومارتن انديك: مصدر سابق ذكره، ص18.

أما الفوضى الخلاقة، وكما قدمتها مؤسسة واشنطن لسياسة الشرق الاوسط، فأنها تنطلق من فكرة تشجيع وإشاعة حالة الغليان وعدم الاستقرار في الشرق الاوسط[56]، وهذا كما وضحته «كونداليزا رايس» في مشروع الشرق الاوسط الجديد. فالفكرة الاساسية للفوضى الخلاقة ضرب القيم المحلية فيما بينها من خلال ادخالها في حالة صراع مستمر، لتنتج لنا فيما بعد قيم جديدة تتواءم والقيم الغربية. لذلك فإن أفضل آلية لهذه الاستراتيجيتين تكمن في الحرب اللامتماثلة ومن خلال توظيف داعش لإثارة بؤر التوتر والصراعات ـ مفاتيح التدخل ـ التي تؤدي إلى حالة عدم الاستقرار ـ فوضى خلاقة ـ من خلال اثارة النعرة الطائفية والاثنية، والتي تعد منطقة الشرق الاوسط أرضها الخصبة.

(56) شريف عبد الرحمن، الفوضى الأميركية الخلاقة أو الاصلاح من خلال الفوضى، مركز الحضارة للدراسات السياسية، 2008، ص5.

وعليه فإن اثارة بؤر التوتر والصراعات لأشاعت عدم الاستقرار، ما هي إلا تعبير عن رسم خرائط لظاهرة جيوبوليتيكية محورية[57]، إذ نشرت مجلة القوات المسلحة الأميركية تقريراً خطيراً يتحدث عن عملية تغيير لمعالم الشرق الاوسط من الناحية الجغرافية[58]، وهذا ما أكدته صحيفة «نيويورك تايمز» عندما نشرت في 28 ايلول/ سبتمبر 2013، خريطة لخمس بلدان في المنطقة قالت أنها ستصبح أربع عشرة في التقسيم الجديد للشرق الاوسط،

(57) باراج خانا، الانفصال قد يكون مفيداً، في الشرق الاوسط خرائط جديدة ترسم، سلسلة ترجمات الزيتون، (74)، مركز الزيتونة، بيروت، 2013، ص18.

(58) محمد زباري مونس، الاستراتيجية الأميركية في الشرق الاوسط بعد انتهاء الثنائية الدولية، دراسة في الجغرافية السياسية، كلية التربية للبنات، 2012، ص15.

وبحسب الخارطة فإن السعودية، وسوريا، والعراق، وليبيا، واليمن هي الدول التي سيشملها التقسيم المفترض.

يجب أن تنفذ كل الانقسامات القادمة بالترافق مع تطبيق مزيج من سياسة المشرط والفأس، أي بالمرونة والقسوة معاً

لقد أكد الكاتب الأميركي «باراج خانا»: بأنه يجب أن تنفذ كل الانقسامات القادمة بالترافق مع تطبيق مزيج من سياسة المشرط والفأس، أي بالمرونة والقسوة معاً، وفوق كل ذلك يجب أن يدرك العالم إن هذه الانقسامات لا مفر منها. . . . لكن في زمن تستطيع فيه أي جماعة أن تكتسب أدوات المقاومة العنيفة، يبقه البديل الوحيد لتقرير المصير يتمثل في الصراع الدائم»[59].

(59) باراج خانا، مصدر سابق ذكره، ص21.

ولتبرير هذا الانقسامات وإعادة رسم خارطة الشرق الاوسط، أكد نائب رئيس هيئة الاركان للاستخبارات العسكرية الاسبق «رالف بيرز» بقوله: «اذا لم يكن ممكناً تعديل حدود الشرق الاوسط الكبير بحيث تعكس الروابط الطبيعية المستندة إلى الدم والعقيدة، فيجب أن نتقبل حقيقة تنص على أن جزءاً من الدم المسفوح في هذه المنطقة سيكون على حسابنا نحن الأميركيين. . . اذا لم تصحح الحدود بشكل تعكس فيه قدرة الشعوب، سيستمر جيشنا في قتال الارهاب من أجل أمننا، ومن أجل السعي نحو الديمقراطية، وإيجاد ممر إلى النفط»[60].

(60) رالف بيترز، حدود الدم، سلسلة ترجمات الزيتون، ع (74) مركز الزيتونة، بيروت، 2013، ص 27.

وعليه فإن إعادة رسم منطقة الشرق الاوسط من خلال الحرب اللامتماثلة وبتوظيف «داعش» يتيح للولايات المتحدة ثلاث ركائز أساسية هي[61]:

(61) خليل العناني، دلالات التحول في خريطة الشرق الاوسط، في الاستراتيجية الأميركية في المنطقة مشروع الشرق الاوسط الكبير القسم الثاني، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، شباط 2005، ص14.

1 ـ خلق شكل إقليمي جديد تضطلع الولايات المتحدة بدور كبير في رسمه بما يخدم رؤيتها الجديدة للمنطقة، وذلك من خلال إعادة بناء وهيكلة قواعد اللعبة السياسية في المنطقة لصالح قوى جديدة، وهو ما قد يتم من خلال آليتين هما: تفكيك تحالفات قديمة وإنشاء تحالفات ومحاور جديدة، وهو ما يتضح من خلال السعي الأميركي لتفكيك المحور الإيراني السوري اللبناني. والآلية الثانية هي تقليل الاعتماد على القوى والأحلاف التقليدية وخلق حلفاء جدد.

إعادة بناء وهيكلة قواعد اللعبة السياسية في المنطقة لصالح قوى جديدة، وهو ما قد يتم من خلال آليتين هما: تفكيك تحالفات قديمة وإنشاء تحالفات ومحاور جديدة

2 ـ ايجاد بيئة اقليمية جديدة تتناسب والرؤية الاصلاحية للولايات المتحدة الأميركية، بحيث تدعم المبادئ والتوجهات الفكرية لديها.

3 ـ انخراط الولايات المتحدة في المنطقة بحيث تصبح الفاعل الرئيس والرقيب الاساس على تصرفات وسلوكيات دول المنطقة، وذلك من خلال استراتيجيات ومبادرات ومناورات ذات مسميات مختلفة بهدف تدعيم التوجه نحو تنقية الاجواء الشرق أوسطية.

وبذلك مثلت «داعش» وبعدّها تنظيم خارج أطار الدولة وضمن اطار الحرب اللامتماثلة، الوسيلة المناسبة لأشاعة بؤر التوتر والصراعات المذهبية والطائفية والاثنية، لتجسيد حالة عدم الاستقرار، وبما يحقق في النهاية إعادة رسم وهيكلة وبناء الشرق الاوسط وبما يحقق الاهداف والمصالح الأميركية، ويتفق مع توجهاتها بعيدة المدى.

الخاتمة

للولايات المتحدة الأميركية مصالح حيوية في الشرق الاوسط تجسدت في «الثالوث الاستراتيجي» والمتمثل في المصالح الجيو ـ استراتيجية، والذي يتيح لها الادارة الاستراتيجية في المنطقة والأقاليم المحيطة بها. والمصالح الاقتصادية والمتجسدة في النفط وفوائضه والتبادل التجاري والاستثمارات. وضمان أمن اسرائيل بوصفها الحليف الاستراتيجي لها. ولإدامة استمرار هذه المصالح الاستراتيجية جاءت آلية مكافحة الارهاب للتوغل الأميركي المتزايد في منطقة الشرق الاوسط.

وضمن هذه الآلية ما لبث أن ابتكرت الولايات المتحدة طريقة جديدة أكثر فاعلية ونجاعة للتحكم في ميكانيزمات المنطقة، وهي استخدام الفواعل خارج أطار الدولة، واستعمالها تحت استراتيجية جديدة تجسدت في الحرب اللامتماثلة، وبتطبيق على أرض الواقع من خلال «داعش»، فالتوظيف الجديد يحقق للولايات المتحدة الأميركية العديد من المزايا:

1 ـ إعادة رسم وصياغة المنطقة من جديد وبما يضمن لها تحقيق «الثالوث الاستراتيجي».

2 ـ المزيد من التغلغل والسيطرة في سياسات المنطقة الحالية والمستقبلية.

3 ـ تتيح «داعش» للولايات المتحدة تواصل تدخلها في المنطقة ولكن من وراء الكواليس، وستواصل ايضاً قيادة الحلفاء والعملاء من الخلف بدلاً من اتخاذ خطوات احادية وصريحة.

4 ـ التخفيف من حدت الاعباء المالية، فالحرب اللامتماثلة في جانب منها هي حرب بالنيابة أو بالوكالة عن الولايات المتحدة، بدلاً من استخدام القوات العسكرية الأميركية مباشرة.

5 ـ التقليل من الخسائر البشرية في حالة لو اشتركت في حرب تقليدية.

6 ـ عكس التركيز والاتجاه الاستراتيجي للتنظيمات الارهابية، لتجميعها في منطقة الشرق الاوسط بدلاً من التوجه إلى الولايات المتحدة وتنفيذ أعمال ارهابية فيها.

7 ـ التخفيف من حدت الانتقادات الموجهة إلى السياسة الاحادية، التي اتبعتها الولايات المتحدة في استخدام قوتها العسكرية.

8 ـ استنزاف القوى الاقليمية الرئيسة في المنطقة، بل وحتى الدول الكبرى في صراع طويل الأمد.

9 ـ التخفيف من حدت الضغوط الموجهة من قبل الرأي العام العالمي والداخلي حول السياسات الأميركية في المنطقة.

10 ـ كلما زاد عدد الدول والكيانات في المنطقة، كلما تعاظمت مستويات الأمن الاسرائيلي، مما يجعلها القوة الرئيسة فيها.